الإيمو .. وجحر الضبّ - بقلم : سحر المصرى

الثلاثاء 17 مارس 2009 12:03 م

بقلم - سحر المصرى

البانكيز.. عبّاد الشيطان.. الإيمو.. عناوين كبيرة لصرعات يتّخِذها الشباب والمراهقون قِبلَة في حياتِهم حين تفرغ من أي قيمة دينيّة وأخلاقيّة ويسيطر عليها الجهل واليأس والهوى.. وقد يكون بعضها أخطر من بعض ولكنها نذير شؤمٍ على الأمّة فماذا يُرتَجَى من أُمّةٍ ارتكس شبابها في أحضان الضياع والقنوط والاستتار في جحور الضبّ رغبة بما عند المفلسين؟!

يقول الرسول صلى الله عليه وسلّم "لتتبعنّ سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضبٍّ لسلكتموه. قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟".. والإيمو هذه الوافدة من بلاد الغرب انتشرت في الآونة الأخيرة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية خليجية وشامية –لا سيّما مصر ولبنان- بشكل كبير وكثُر اللغط حولها.. فمنهم مَن يجمِّلها ويعتبرها مجرد نمط حياة ومنهم مَن يُنزِلها منزلةً دنيا ويتوجّس خوفاً من شرّها وينبّهها بالإلحاد والشذوذ الجنسي وبأنها وليدة لجماعة عبّاد الشيطان..

ولِمَن لَم يسمع بهذه الظاهرة فالإيمو -كما يُروى- هي مجموعة من المراهقين الذين يستعيضون بالألم الجسدي على الألم النفسي فيُشرِطون أبديهم مثلاً ليتألموا جسدياً ويغلب هذا الوجع ألمهم النفسي! وعندهم نزعة إلى الانتحار نتيجة تضخيمهم للمشاكل وعيشهم مع ذكرياتهم الأليمة وحساسيّتهم المُفرطة.. ويتميّزون بدوام الحزن والإحباط والاكتئاب والخجل والتشاؤم والصمت والسلبية تجاه الحياة والعزلة إلا عن أقرانهم الإيمو.. ويميلون إلى الكآبة والبكاء أمام الآخرين وينتحبون على الحب غير المتبادل ويكتبون الأشعار الحزينة ويشكون النبذ في مجتمعاتهم.. كما يؤمن الإيمو أنهم سيذهبون بعد الموت إلى The Black Parade أو "العرض الأسود" وهو عنوان ألبوم موسيقي صدر في عام 2006 واحتل المرتبة الأولى لفرقة "كيميكال رومانس" والتي كانت تدعو إلى طقوس "الإنتحار عبادة"!

أما من حيث المظهر فلهم قصّات شعر خاصة تنسدل إلى الأمام وتُخفي جزءاً كبيراً من الوجه.. وثيابهم تتّسم بألوان خاصة كالأسود والزهري وصور الجماجم منتشرة عليها.. ويضعون "الحلق" في مختلف أجزاء الجسد ويُكثِرون من الكحل الأسود حول أعينهم بشكل مخيف.. ويعتبرون أنهم يعبِّرون بطريقة لبسهم وطقوسهم عن المشاعر الحزينة التي تجتاحهم ولا يخجلون من منظرهم أو طريقتهم في الحياة لأنها انعكاس عن عواطفهم الداخلية.. وبمجرد انتماء الشخص للإيمو فإنه يتغيّر كلياً ابتداءا من طريقة لبسه وانتهاءا بالإنطواء على نفسه مهما كان حيوياً قبل ذلك!

وكلمة الإيمو مشتقة من الكلمة الإنكليزية Emotion ومعناها العاطفة أو الانفعال.. وبدأت كتيار موسيقي في الولايات المتحدة في الثمانينات للهارد روك والبلاك ميتال لتصبح في أيامنا نمط حياة! وتتميز هذه الموسيقى بالصخب والحزن والدعوة إلى الانتحار!

قد يبدأ الشاب -أو الفتاة- بالانجذاب لهذه الجماعة بسبب "اللوك" أو وجود قواسم مشتركة بينه وبين أحد عناصرها كالحزن والاكتئاب فيعتقد أنه وجد من يتفهّمه حتى إذا ما دخل معهم انجرف إلى مستويات أشد خطورة ما قد يؤدّي في النهاية إلى قتل النفس!.. وقد انتشرت الآن مجموعات الإيمو في الفايسبوك لاصطياد أكبر عدد من الشباب الهائم أو الساذج أو المحروم!

يقول بعض "إيمو" العرب أنهم مختلفون عن إيمو الغرب ولكن هذا الأمر ليس دقيقاً تماماً.. لأنهم كما يقِرّون هم أنفسهم أن الإيمو هي طريقة معيشة وتفكير وليس مجرد مظهر! وإن كانوا مختلفين فلِم اقتبسوا اسمهم؟ ولِمَ يروِّجون لأفكارهم وطريقة عيشهم بالتفاصيل المملّة؟! ولِم التزموا أساليبهم من الأساس؟ وما يُدريهم أنّهم حين يتوغّلون في معاقرة صفاتهم وأدواتهم وطرق حياتهم وحين يستولي عليهم الاكتئاب والحزن لن يصلوا إلى أكثر مما

وصـل إليه إيمو الغرب؟ أوليست النفس البشـرية واحـدة حين تتجرّد من الايمـان والإحسـاس بالمسؤوليـة؟ أوليس الشـيطان والهوى واحـد؟ أوليس الألم والاكتئاب واحد؟! ولئن سـلِم بعض إيمو العرب من الانتحار والأمراض النفسية فهل سينجو الجميع؟! إن بمجرد استساغتهم لهذه الظاهرة فقد دق ناقوس الخطر ووجَب الحذر!

ممـا لاـ شـك فيه أنّ دوافع الشـباب وخاصـة المراهقين للانتسـاب إلى هـذه المجموعـات هو الفراغ – بأنواعه- بالدرجـة الأولى.. الفراغ الروحي والإيماني وفراغ الوقت.. والبُعـد عن الله جـلّ وعلاـ.. فلا يمكن أن يكون في قلب إنسان ذرّة من إيمان ثم يلتجئ إلى هـذه الفِرَق! فالإيمان يزرع الأمل في النفوس والطمأنينـة والسـكينة والارتباط بالله جل وعلا يورِث الراحـة فيما كان وما هو آت..حتى عند الابتلاءات والمصائب والحرمان فإن المؤمن يعلم أن كل أمره خير ويرضى ويشكر ويدعو!

كما أنّ من أسـباب الاندفاع وراء هذه الظواهر هو الفقر وتجارب الفشل في الدراسة أو العمل أو الحياة الاجتماعية.. والتفكك الأسـري والتخبّط النفسـي والغزو الفكري وحب التقليـد الأعمى وافتقاد الهوية والهدف والهزيمة النفسـية ما يولِّد الانجرار وراء كل ما هو غربي.. وقد يكون السـبب هو مجرد إثبات الذات ولفت الانتباه والظهور بشكل مختلف ليصرخ المراهق "إني هنا"!

أن ترى في الغرب مثل هـذه الظواهر فشـيءٌ طبيعي لأنه مجتمع مادي غير مترابط ويفتقر إلى القِيَم الدينيـة والروحيـة والأخلاقيـة والأُسـريّة.. ما يجعل المرء يهيم على عواهنه دون حسيب أو رقيب.. أما في مجتمعاتنا الشرقية والإسلامية بالتحديد فهذا أمر يدعو إلى الذعر حقيقة!

وحتى لا يكون دائماً الغرب هو الشمّاعة التي نعلّق عليها هزائمنا ومصائبنا فحريٌ بنا أن نفتّش عن ثغراتنا وتقصيرنا وأن نضع الإصبع على الجرح لمداواته..

فنحن كأهل مقصّرون تجاه أبنائنا فهل كان منّا الاحتواء والاحتضان والمتابعـة والتوجيه بالحُسـنى؟ هل فتحنا قنوات الحوار معهم منذ الصِغَر لندلّهم على الله جل وعلا بالدرجة الأولى ثم على الحلال والحرام وجعلنا الحبيب عليه الصـلاة والسلام قدوتهم وثبّتنا في قلوبهم مفاهيم الابتلاء والهدف من وجودهم على الأرض أصـلاً؟! هل كنا إلى جانبهم لحل مشاكلهم وتبصـيرهم بالخير والشـر وتأصـيل بوصلتهم الإيمانية والأخلاقية أم تركناهم للخادمة وصحبة السوء والانترنت والفضائيات دون تواجد فعّال في حياتهم؟!

ونحن كدعاة هل لاحقنا الشـباب وأحسـنّا الخِطاب معهم وأشـعرناهم أنهم القيمة الحقيقيّة في الأمّة وبسّطنا لهم سـبل الهداية وأشغلناهم بالخير كي لا تشـغلهم نفوسـهم بالشـر؟! وهل أمَّنا لهم القـدوة الصالحة التي تجذب للدين ولا تنفِّر منه؟ وهل قمنا بحملات للتوعية من هؤلاء ولهؤلاء؟! وحين وصل بنا الأـمر لوجود مثل الإيمو في مجتمعاتنا فهل سـعينا لإرشادهم وهـدايتهم وتعريفهم بالعقل والعاطفـة ما هم سائرون إليه ومحاولـة انتشالهم من الضـياع والفساد الذين ينغمسون فيه؟!

وكحركات إسـلاميّة وشـبابيّة واعيـة هل نظّمنا الدورات الجدّابة لتوعية الشـباب وإعانتهم على تحديد الأهداف وتنمية القدرات وقيادة الذات وتقدير العقل والوقت؟!

المسؤولية مشتركة بين الجميع: أهل وعلماء ومدارس وحكومات وإعلام وجمعيات لنصل بشبابنا إلى برِّ آمِنٍ يحميهم من أنفسهم قبل غيرها..

وهمسـة أخيرة في آذان البعض ممّن يستسـيغ الترويج الإعلامي للإسـلام فوبيا فلا يترك مناسـبة إلا ويحذِّر من الإسـلاميين وحتى مجرد الالتزام بالفرائض التي شـرعها الله جل وعلا بحجّة الخوف من التطرف والإرهاب فلهؤلاء أقول: اتّقوا الله في أولادكم وشـبابنا.. فإنّكم "بخوفكم" هذا إنّما تُلقون بالشـباب في أحضان الرذائل وتجعلونهم فريسة سهلة لمثل هذه الظواهر التي نتحدث عنها! أفيرضيك ان يكون ابنك أو قريبك فارغ الروح هائم النفس تتلقفه أيدي الشـيطان من كل جانب على أن يكون عبداً طائعاً لله جل وعلا ملتزماً منهجه القويم؟! كفّوا بربّكم ألسـنتكم عن الخوض فيما يضـر ولا ينفع واتركوا شبابنا يتّبع نداء الفِطرة ليصبح نبراس هداية لا شيطاناً يمشي على الأرض! وليمهِّد في هذه الحياة الطريق إلى الجنّة لا إلى "The Black Parade" !

كاتبة وباحثة إجتماعية من لبنان